القصص

أعصاب

للقصصي الروسي تشيكوف

بقلم محمود البدوي

عاد المهندس المعماري دمتري اسيبوفتش فاكسن من المدينة إلى كوخه الذي يقضي فيه عطلته وهو متأثر غاية التأثر مما سمعه في جلسة استحضار الأرواح التي تشرف بحضورها !

وعند ما خلع ملابسه ، ومشى إلى فراشه المنعزل ، ولا أنيس معه فيه — فقد بارحت مدام فاكسن المنزل إلى عمل يستغرق طيلة الليل — لم يستطع أن يطرد عن ذهنه تصور كل ما سمعه ورآه في هذه الليلة التي لم يكن الحديث فيها ممتعاً على الاطلاق ! فلقد مضوا الليل كله في حديث مروع بدأته سيدة في رونق صباها — على ذكر لا شيء — بالكلام عن التفكير عند القراءة ، ومن هنا تشقق بهم الحديث دون ادراك إلى الأرواح ، ومن الأرواح انتقلوا إلى الأشباح ، ومن الأشباح تشعبت بهم سبل الكلام إلى أناس يدفنون أحياء .... ! وقرأ سيد قصة مرعبة عن جثة تسير وهي مدرجة في الكفن ... وطلب فاكسن نفسه فنجانة وأخذ يشرح للسيدات الصبايا الطريقة المثلى لمخاطبة الأرواح ! وأحضر من بين الموتى روح عمه كلافدي ميرونتش وسأله :

« الم يحن الوقت بعد لنقل ملكية منزلنا إلى زوجي ؟ »

فأجابته روح عمه : « كل الأشياء حسنة في حينها »

وفكر فاكسن وهو مضطجع على سريره وقال لنفسه :

« في الطبيعة أشياء كثيرة ... سرية ... ومفزعة ... فالمجهولات لا الأموات هي المروعة حقا »

ولما دقت الساعة واحدة انقلب فاكسن على جنبه الآخر ، وأخذ يرمق من تحت غطائه نور المصباح الأزرق المحترق أمام الصورة المقدسة ، وقد ارتعش لهبه ، وألقى نوره الخابي على قاعدة الصورة ، وظهرت أمام سريره صورة عمه كلافدي الكبيرة المعلقة على الحائط

ومض هذا الخاطر في ذهنه : « وماذا ... إذا ظهر في هذه اللحظة شبح عمي كلافدي ... ولكن بطبيعة الحال ... هذا محال »

ومع أن الأشباح — كما نعرف جميعاً — خرافات من ذرية الذكاء المحدود ... فقد ضم فاكسن غطاءه عليه حتى غطى رأسه وأغمض عينيه تماماً ! على أن الجثة التي سارت وهي ملفوفة في كفنها عادت إلى ذهنه بعد برهة قليلة ، ورفعت أمام مخيلته صور المرحومة حماته ، وزميل له شنق نفسه ، وفتاة أغرقت نفسها أيضاً ... وحاول فاكسن أن يطرد عن ذهنه هذه الصور السوداء ولكنه كان كلما أمعن في الطرد أمعنت هذه الصور في الثبات ، وأحاطت به خيالات مخوفة ، وأخذ يحس بالرعب المتمكن والجزع الشديد

وقال لنفسه :

« إلى المشنقة بهذه الخواطر جميعاً ... هأنذا خائفاً في هذا الظلام كطفل ... ممتوه . وسمع الساعة تدق في الغرفة المجاورة : « تك .. تك .. تك »

ورن ناقوس الكنيسة في فنائها القريب مبيناً الوقت .. دق الناقوس في بطء وانقباض وحزن .. وسرت رعشة شديدة في عنق فاكسن امتدت إلى عموده الفقري ، وخيل إليه أنه يسمع إنساناً يتنفس فوق رأسه بثقل ! كأن العم كلافدي قد رأى أن يبرح إطار صورته وينحني فوق ابن أخيه ... وشعر فاكسن بالرعب الذي لا يحتمل ، فصر بأسنانه ، وعلق أنفاسه في هول

ولما قفزت حشرة من الحشرات الطائرة إلى النافذة المفتوحة وانقلبت تطن فوق فراشه لم يستطع الاحتمال أكثر مما احتمل فجذب زر الجرس بعنف

وسمع بعد هنيهة صوت الحاضنة الألمانية واقفة على بابه تقول بالألمانية :

« ما الذى تريده يا دكتور اسبيفتش ؟ »

فصاح فاكسن فرحاً « آه .. أأنت يا ... روزاليا كارلوفنا لماذا تتعبين نفسك ؟ .. أين جافريلا ؟ لا بد أن ... »

« بعثت أنت بنفسك جافريلا إلى المدينة ... وجافريلا مضت تقضى الليل فى بعض الجهات ... وليس فى المنزل أحد سواى ... فما الذى تريده من فضلك ؟ »

« حسنا ... الذى أريده ... هو ... ولكن من فضلك ادخلى ... لا داعى للقلق .. انه .. ظلام ... »

ودخلت روزاليا كارلوفنا وهى امرأة بادنة حمراء الخدين !! ووقفت على الباب وقفة المنتظر

« اجلسى من فضلك ... أنت ترين ... أن الأمر هكذا ... »

وعجب وقال لنفسه : أى شىء أسألها فيه وعنه .. ؟ وسارق صورة عمه النظر وشعر بروحه تعود تدريجياً إلى الهدوء

« الذى أوده منك فى الحقيقة هو ... آه ... لما ينطلق الخادم إلى المدينة لا تنسى أن تخبريه بأن أ ... أ ... يجىء ببعض أوراق السجاير ... ولكن من فضلك اجلسى »

« ورق سجاير ... حسناً ... وما الذى تريده أيضاً ؟؟ »

« الذى أريده ... لا شىء أرغب فيه ولكن .. اجلسى .. سأفكر فى شىء آخر بعد دقيقة »

« العذراء ... تخاف البقاء وحيدة فى غرفة رجل يا سيد فاكسن ... فهمت ! إن حاجتك الى ورق سجاير ... كانت فى الواقع لا تستدعى إيقاظ أحد ... فهمتك »

وانقلبت روزاليا كرلوفنا على عقبيها وغادرت الغرفة ، وسكن روع فاكسن لما تحدث معها وخجل من جبنه للغاية ، وغطى رأسه ، وأغمض عينيه ، وشعر مدة عشر دقائق كاملة بالراحة التامة ، وبعد هذا زحفت إلى ذهنه نفس الخزعبلات الماضية ... فتحسس الثقاب وأشعل شمعة وهو مغمض العينين ! وأصبح النور بعد الهلع الذى هيمن على كيانه عديم الجدوى ، فقد سور له خياله المضطرب أشباحاً طلعت من الأركان وبدت عيون عمه تتحرك ... !!

فقرر قاطعاً :

« سأدق لها الجرس مرة أخرى ... لعنة الله على المرأة ... سأخبرها بأنى أشعر بالتعب وفى حاجة إلى بعض أقراص من الحلوى »

وشد فاكسن الجرس فما جاوبه أحد . ودق ثانية فسمع جرس الكنيسة يدق كأنما يجاوب على دقاته بمثلها . واستولى عليه الرعب وشاع فى جسمه البرد فقفز من فوق سريره وغادر مخدعه يعدو راسماً علامة الصليب ، وأخذ يلعن نفسه لجبنه وخوره ، وجرى حافى القدمين فى قميصه الليلى حتى بلغ غرفة الحاضنة

وقال راجف الصوت وهو يطرق بابها :

« روزاليا كرلوفنا ... أنمت ؟ أشعر ... بأنى ر ... ر ... تعب ... أود قليلاً من أقراص الحلوى »

فما جاوبه أحد وخيم الصمت

« أرجوك ! أفهمت ... أرجوك ... لماذا هذا القرف ؟ .. لا أستطيع أن أفهم ... خصوصاً إذا كان الرجل ... مريضاً ... أى عبث ... أنت فى الحى ... وفى مثل سنك » فقالت له :

« سأخبر زوجك ... أنك لا تدع عذراء شريفة فى أمان ... لما كنت عند البارون انزيج ... جاء إلىّ سعادته يطلب أعواداً من الثقاب ... ففهمت فى الحال معنى هذه الأعواد من الثقاب .!! وأخبرت البارونة ... فانا عذراء شريفة » فقال لها :

« إلى المشنقة بشرفك هذا ... أنا مريض ... قلت لك هذا ... وأطلب منك بعض أقراص من الحلوى ... أتفهمين .. إنى مريض » فأجابته :

« زوجك امرأة شريفة وطيبة ... ومن الواجب عليك حبها .. أجل ... إنها نبيلة طيبة ... ولن أكون لها عدوة »

فقال لها : « إنك غبية ... غبية ... أتفهمين ... غبية »

* * *

اعتمد فاكسن على سارية الباب ، طاوياً ذراعيه ، ومنتظراً أن يذهب عنه هلعه الشديد ، فان رجوعه الى غرفته حيث يرتعش المصباح ويحملق فيه عمه ... أمر لا يجرؤ على مواجهته ، وأن وقوفه على باب الحاضنة وليس عليه سوى قميص نومه أمر غير

لائق من جميع الوجوه ! ! فما الذى يعمله ؟ ؟

ودقت الساعة الثانية وما بارحه جزعه ؛ وكان المر مظلماً فبدأ له خيال أسود طلع من كل ركن واستدار ليواجه عقب الباب . على أنه تصور فى هذه اللحظة انساناً جذب قميص نومه من الخلف ولمس كتفه

فأعول ثم صاح :

« عذاب الجحيم ... روزاليا كارلوفنا »

ولما لم يسمع صوتاً فتح فاكسن الباب متردداً ودخل ؛ وكانت الألمانية الفاضلة غارقة فى سبات لذيذ ، وقد أظهر ضوء المصباح الخافت ما على وجهها من بشاشة ، ثم انساب الى داخل الغرفة ووقف بجانب حقيبة عند الباب ، وشعر بارتياح تام وهو فى حضرة مخلوق حى ، حتى ولو كان هذا المخلوق نائماً

ثم قال فى نفسه :

« خل الألمانية البلهاء غارقة فى نومها ... سأجلس هنا ... وحينما يبزغ النور أرجع الى مكانى . . فالصبح يبكر فى هذه الأيام . . . »

استلقى فاكسن على الحقيبة ووضع ذراعه تحت رأسه مترقباً طلوع الفجر

وتأمل ! !

« أى شىء ... لما يكون المرء عصبياً ... ورجل متعلم ذكى ... لنشنق جميعاً ... إنه عار شنيع »

وعند ما تسمع إلى تنفس روزاليا كرلوفنا الرقيق عادت اليه نفسه وثاب حسه وهدأ تماماً

وفى الساعة السادسة عادت زوجه فاكسن من عملها الذى استغرق طول الليل ولما لم تجد زوجها فى مخدعه دلفت الى الحاضنة تسألها عن «فكة» للحوذى

ولما دخلت الغرفة رأت منظراً غريباً ! ! ! بصرت على السرير بروزاليا كارلوفنا غارقة فى النوم ... وعلى قيد ذراعين منها ينكمش زوجها على الحقيبة وينام نوم العادل !! ويغط غطيطاً عالياً

أما الذى قالته لزوجها وكيف كان حاله عند ما استيقظ فسأدع لنيرى تصويره فهو فوق طاقتى

محمود البدوى

هاجر العـــانس

للسيدة وداد السكاكينى

تسألينى يا صديقتى عن كآبة «هاجر» ووجومها ، وتتساءلين ملحة عن مجافيها وإيثارها العزلة والانفراد . إنك ربيدينى على أن أفضى إليك بخبرها ، وأصرح عما أعلمه عنها ؛ ولا شك أن طلبك هذا يثير فى نفسى ذكريات الطفولة ويحملنى على أن أتحدر إلى أغوار الماضى ، حين كنت أعرف هاجر فى المدرسة تلميذة فى صف الشهادة ، وكم كان يشتد فرحى حين تدخل هذه الفتاة بيتنا فى البكور لتأخذنى معها ، فان عمتى أوصتها بمرافقتى إلى المدرسة ، وكانت رحمها الله صديقة حميمة لأسرة هاجر

كانت تدق باب بيتنا دقات مستعجلة ، فأبادر إلى صدارى الأسود ، وأعلق إلى جانبى محفظة كتبى بنجاد قصير ، فاذا أسرعت هاجر فى سيرها عدوت خلفها ، فأتعثر بمحفظة كتبى التى تتدلى على جنبى أو على ظهرى ، وكنت لا أقف لاصلاحها حتى لا تتأخر هاجر عن ميعاد المدرسة فتحرمنى مرافقتها فى الطريق

وكان يعظم سرورى حين تغيب معلمتنا العجوز الشمطاء ذات النظارة التى تربطها بالخيط إلى أذنيها وتحدرها إلى أرنبة أنفها فتطالعنا بنظرها المخيف من فوقها ، كنت أفرح وأصرح حين تغيب هذه المعلمة الغاشمة فترسل الينا المديرة « هاجر » كبرى تلميذات المدرسة لتحل محل المعلمة الغائبة ، وتعلمنا الدرس فأزهو يومئذ وألهو ، وألمس بأناملى رؤوس رفيقاتى اللاتى أمامى فيتلفتن وراءهن فاذا أنا صنم لا يتحرك

هذه صورة أولى لهاجر ما تزال فى ذاكرتى جلية بينة ؛ إنها كانت غضة الأهاب ، أنيقة الثياب ، ذات وجه أسمر مجدور ، وشعر جعد أسود ، قسمته ضفيرتين كثيفتين تنوسان على كتفها ؛ وكانت صناع اليد تغزل من الصوف أردية شتوية لأختيها سعاد ومليحة ، وقد كان أبوها قاسياً جامداً ندم على تعليمها بعد أن حازت الشهادة ، لكيلا يفتح العلم بزهره قلبها وعينيها ، فخلف ألا يعلم أختيها